مرجعيات تشكيل صورة المرأة في الشعر العربي في كربلاء
١٩٥٠ ـ ٢٠٠٠م

أ. د. فاروق محمود الحبوبي
م. م. زينب عزيز هادي الموسوي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل خَلقهِ ذكر وأنثى والحمد لله على إرسالهِ الأنبياء يسلكون سبيل الخلاص والحمد لله على القرآن، والحمد لله الذي مَنَّ علينا بالرسول (أفضل الصلاة والتسليم عليه وعلى آلهِ الطاهرين).

بعد ان رأيت ميلاً لقراءة الشعر عامة والشعر العربي على وجه الخصوص، عقدت العزم للبحث في هذا المجال دون سواه.

ان الحياة الأدبية لكل مدينة تتميز عن غيرها بميزات معينة ترجع الى عوامل تاريخية واجتماعية مؤثرة فيها. وان الاهتمام بدراسة ادب المدن العربية يؤدي الى وضوح معالم الادب العربي عموماً وفي اي حقبة زمنية. وفي مدينة كربلاء عدد كبير من الادباء والمثقفين تهيأت لهم مقومات الابداع الادبي ولم ينالوا ما يستحقون من دراسة لذا وجد البحث من المناسب ان يقوم بأداء التعريف بنتاجهم، وقد سلط البحث الضوء على مرجعيات تشكيل صورة المرأة في الشعر العربي في كربلاء الذي كان الشعر العربي من اهم روافده كما سيبين البحث ذلك، وختم البحث بخاتمه بينت ما وصل اليه البحث من نتائج. ونرجو من العلي القدير ان يحقق البحث شيئاً يبقى في ذاكرة المكتبة الأدبية، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين.

الشعر العربي

شغلت المرأة الشعراء بكل زمان ومكان؛ لأنها الوجه الآخر للحياة. فاذا اقبلت اقبلت معها الحياة.

والانسان العربي نشأ في بيئة صحراوية حافلة بالتفاقضات؛ حيث المناخ المتقلب وقسوة الطبيعة والحياة القبلية القائمة على الغزو والسلب الى غير ذلك من الأمور المعروفة في حياة العرب آنذاك.

وكانت المرأة تشاركه تلك الحياة، مسراته، احزانه... فكان من البديهي ان تنزع نفسه اليها وكانت المرأة في الغالب تتمنع وترفض، وتمنعها استثار خيال الشعرء ولو تبذلت ولانت لخبت جذوة الشعر ونضب معينه؛ فامتناع المحبوبة هو سر الحرارة في الحب[١].

إنّ الأدب العربي، والشعر منه على وجه الدقة لم يمر عليه عصر من العصور الا وكانت المرأة رافدا من روافده، ففي العصر الجاهلي كانت كل قصيدة من قصائده – تقريبا – تفتتح باسم الحبيب وقد تغنى الشاعر باسمه او وقف لوداعه او بكى لفراقه او ذكر اي شان من شؤونه.

وانمازت تجربة الشاعر العربي مع المرأة بالحزن في الغالب. وتلبدت أجواؤها بغيوم الأسى والألم[٢].

واكتست بصور حزينة متشائمة، ولعل ذلك مردّه الى ظروف طبيعية تملي على الشاعر الترحال الدائم بحثا عن الملأ والكلأ. وما يتبع ذلك من فراق الديار والاحباب، وبسبب مواصفات اجتماعية لا تبيح للشاعر المحب لقاء محبوبه على مرأى الناس ومسمعهم[٣].

وقد تعددت صور دخول المرأة إلى القصيدة العربية عن طريق النسيب أو الظعن أو الغزل، ولا شك أن هذ التقليد كان بداية انبعاثه حاجة ملحة أو تجربة مباشرة[٤]. واختلف القدماء في سبب استهلاك الشعراء بالغزل فابن قتيبة يرى ان الشاعر يعمد اليه ليصرف اليه الوجوه، ويستدعي اليه الاسماع، ثم يمضي لفرضه من القصيدة[٥]. في حين يرى ابن رشيق إنّ الميلَ للهو والنساءِ لما فيه من عطف القلوب سببا في الاستهلال بالنسيب[٦].

واتسعت آراء المحدثين إلى أكثر من ذلك[٧].

والى الان نعيش التساؤل ذاته، ولا نظن اننا نصل الى نتيجة قاطعة طالما بقيت البدايات الاولى للشعر مجهولة.

تطالعنا في شعر طرفة بن العبد – مقدمة غزلية مدح بها قومه قد تكون من بواكير المقدمات الغزلية في الشعر العربي، فقد تكاملت خصائصها الفنية، واتسعت ملامحها الغزلية حتى بدت كأنها قطعة ذات موضوع غرامي خالص وقد ذكر شوقه إلى حبيبته (هِرْ):

اصحوتِ اليومَ أمْ شاقتك هِرْ ومن الحبّ جنون مستعر[٨]

لا يكن حبك داء قـــــــاتلا ليس هذا منك مأوى بحر

ومن الشعراء، من قدم لمعلقته مقدمة غزلية انمازت بجمالها ودقة ألفاظها يقل الاعشى[٩]

ودّع هريرة إن الـــركب مرتحل وهل تطيق وداعـــــاً ايـــها الرجل

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوصي الوجل

كأن مشيتها من بيت جارتهـــا مر السحاب لاريث ولا عـــــــجل

فقد بدأ بالوداع والالم والحسرة، ثم رسم صورة للحبية حيث التناسق الجسدي الذي انمازت به ومشيتها الهادئة الى صفاتها الخلقية حيث التأني والروية سجية من سجاياها.

فكانت لوحة متكاملة عن المرأة التي أحب وبامكاننا تخيلها؛ لدقة التفاصيل التي أوردها في شعره.

ونلحظ تكرار الشعراء استهلال قصائدهم بالغزل؛ لان تجربة المرأة تستوعب الحديث عن تجارب أخرى[١٠]، ويتمكن من خلالها ان يعبر عن مختلف شجونه وان يجعلها منفذا يطرق من خلاله جميع الذكريات، فالحديث عن المرأة يرفد الشعر بمعطيات جديدة؛ لانه الاقرب الى النفس والاكثر التصاقا بها.

وفي بيئة كالبيئة العربية التي تمثل فيها الفتوة والاقدام ضرورة من ضرويات الحياة تغدو المرأة فيها جزء مكملا لمتع الحياة، ويغدو الحديث عن المغامرات مع النساء من مستلزمات الفتوة والرجولة[١١].

وقد كانت المرأة وسيلة لاشياع اللذة، ثم اصبحت رمزاً لكل شيء جميل، وفي ذات الوقت رمزاً للمعاناة[١٢].

وانطلاقاً من هذا التأسيس فقد عانى كثير من الشعراء من تجربة الحب المؤلم.

أفاطم مهلا بعض هـــــذا التذلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي[١٣]

وانت كنت قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابك من ثيابي تنســـــــلي

أغرك مني إن حبك قاتلـــــــي وإنك مهما تأمـــــــري القلب يفعل

وكذا اكتوى طرفة بنار الهوى اذ يقول:

يا خليلي قفا ا خبركما عن احاديث وهـــــــــمِ[١٤]

بلغا خولة انـــي ارقُ ما انام الليل من غير سدم

ونلحظ ان الشعراء كانوا يفكروا مليا في قصائدهم وفي الاثر الذي يريدون ان يحدثوه في السامعين وفي الأجزاء التي تندرج في احداث هذا الاثر بحيث تتماشى وبنية القصيدة[١٥].

يكاد يكون البناء الفني للقصيدة العربية بناءً واحداً وبالاخص فيما يتعلق بالغزل[١٦]، فمقدمة القصيدة هي حديث عن الشوق والصبابة والحزن والالم الذي يعتري المحب في اثناء فَقْدِه لمحبوبه، وقد يكون هذا الالم هو شعور مكنون في لا وعي الانسان[١٧].

وفي اغلب قصائد الغزل والشوق يذكر الشعراء اسماء محبوباتهم وقد تكون اسماء لنساء لهن الاثر الكبير في حياة الشاعر الشخصية[١٨]، ومن الباحثين من يرى ان هذه الاسماء ما هي الا رموز ليست بواقعية اتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عن الانثى التي يحب[١٩].

وغير خافٍ ان الشعراء زاوجوا بين الطبيعة والمرأة حيث لم يجعلوا بينهما حدوداً فاصلة، فالمرأة هي الشمس ولا سبيل الى التمايز بينهما كما يقول سويد بن ابي كاهل[٢٠]

تمنح المرأة وجها واضحـــــــاً مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع

وكذا قول عمر بن ابي ربيعة

وهي كالشمس اذ بدت في دجاها فأبانت للناظرين طلوعـــــــا

ومن الشعراء من يرى ان جمال حبيبته ابهى من شعاع الشمس والقمر.

ألم تعرفوا وجها لليلى شعله اذا بـــرزت يُفنـــي عـــن الشـــمس والبدر[٢١]

وربما كان هذا التطابق بين المرأة والطبيعة في نظر الشاعر هو ما يجمع بينهما.

وقد غذت الطبيعة المحبوبة، فاسقطت كل جمالها ومفاتنها عليها من توهج وضياء.

عروب كأن الشمس تحت قناعها اذا ابتسمت او سافرا الم تبسم[٢٢]

اما قيس بن الخطيم شبه وجه محبوبته بالشمس في اجمل وقتين (الشروق والغروب)

فرأيت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن او كدنوها لغروب[٢٣]

والقمر كان له الحضور في تشبيهات الشعراء لمحبوباتهم يقول النابغة الجعدي[٢٤]

غرّاء كالليلة المباركة القمراء تهدي اوائل الظَلمِ

ولا تخلو لغة الحب من ذكر العين ووصفها حيث تمثل مصدر النور والاشراق وهي لغة التخاطب بين المحبين ومصدر مهم من مصادر الوحي والالهام، تؤثر في النفس وللعيون لغة بليغة واشارات فصيحة تسحر النفوس وتفتن القلب، تطلق نظرتها فتأسر، وقد تكون سببا في مصرع العشاق يقول جرير[٢٥]:

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحي قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

وقد تشغل نظرة العين حتى الرهبان[٢٦]

لها مقلة لو انها نظرت بها الى راهب قد صام لله وابتهل

لاصبح مفتونا معنى بحبها كأن لم يصم لله يوما ولم يصل

فالشاعر العربي اسرته العيون الحور الواسعة التي انطبع ذوقه بفعل البيئة على حبها وتفصلها على غيرها من العيون.

يقول امرؤ القيس[٢٧]:

حول تعلل بالعبير جلودها بيض الوجوه نواعم الاجسام

فكثيرا ما كان الشاعر يشبه عين محبوبته بعين الظبية او عين البقرة الوحشية.

ومن الصفات التي في المرأة التي استحسنها الشعراء واكثروا بوصفها المرأة الفارعة القوام الممشوقة القد الضامرة الخصر، العريضة الارداف ونجد ذلك في اشعارهم[٢٨]:

نواعم ابكار سرائر بدّن حسان الوجوه لنات السوالف

يصف الشاعر مجموعة من النساء بالنعومة واللين والبدانة وهي صفات مستحبة عند الشاعر؛ لانها دليل النعمة والعيش المترف.

ويرى الباحثون ان القصيدة العربية بعمومها كانت محبوكة وذات نسق شعري واحد تاخذموضوعاتها برقاب بعض، بواسطة جسور لفظية ونقلات شعرية، ولها شكل واحد.

إنّ في الرجل نزع إلى المراة، وفي المرأة نزوع إلى الرجل، غير إنّ هذا النزوع يتفاوت بينهما بحسب اختلافهما في الطبع والمزاج، كما ان الاعراف والتقاليد الاجتماعية الموروثة تفرق بينهما، في سلوكها، وفي طريقة التعبير عن المشاعر والاحاسيس.

والشعراء اكثرهم من غيرهم تأثراً بالمرأة واكثرها استلهاما لها؛ لعل ذلك مرده لما يمتلكوه من احساس مرهف وذوق مميز، لذا ليس من الغريب ان يكون اهتمامهم بها كبيراً، فشيدوا لها معارض في دنيا الجمال من خلال صورهم الجميلة المعبرة عن عواطفهم واحاسيسهم اتجاهها. وهي كبقية البشر يختلفون في

السلوك وطريقة التعبير، فمنهم من يجاري الاعراف والتقاليد ويراعي الاداب العامة للمجتمع وهو يصور المحبوبة، ومنهم من يطلق العنان لخياله ليصور كيف يشاء وانى يشتهي من صور من مفاتن المحبوبة.

وعلى الرغم من ان مدينة كربلاء من المدن المهمة التي تهفو اليها افئدة المسلمين، لارتباطها بالحسين (ع) فهي مدينة مقدسة الا ان شعراءها ما انفكو يترسمون خطى من سبقهم من الشعراء العرب في وصف محبوباتهم، بصفات حسية[٢٩]، يقول علي الفتال[٣٠]:

فقدك الفارع يا حلوتي كبانة في روضة باسقة

وشعرك الاشقر كالشمس بل الشمس من امواجه سارقة

ان الشاعر يبين ان ادراكه المحبوبة لا يعدو ان يكون ادراكا بصريا فهي مثال للتناسق في القوام، فقد وجد الشاعر الجمال وارتاحت له نفسه، وقدمزج الشاعر بين جمال الحبيبة وجمال الطبيعة، ولطالما استعار الشعراء من الطبيعة وجمالها ليضفوا على محبوباتهم ذلك الجمال[٣١].

والشاعر رضا النقيب يصف محبوبته بقوله[٣٢]:

بدر ثم بمحياه ظهر فله ذاب فؤادي وانشطر

بت ليلي ساهرا من اجله قبل هذا لم اذق طعم السهر

قد تعلقت بظبي قده غصن بان قد بدا يسبي البشر

قمري الوجه معسول اللمى ادعج العينين ديمي النظر

قد شغلت المحبوبة الشاعر المفتون فقد سخر الشاعر طاقاته الابداعية لها، وعنايته منصبه على جسم الحبيبة، التي اوقت اليه بايحاءات شتى، فهي حلوة التقاطع، ممشوقة القد، رشيقة الحركة.

والشاعر سلمان آل طعمة هو الآخر اطلق العنان لخياله بوصف المحبوبة[٣٣]:

قطع الحب مهجتي وفؤاد خبريني متى يحين اللقاءُ

يا ربيع الحياة ما انت إلا قمر مشرق السنى وضاءُ

كيف اخلو من الصبابة والوجـ ـد وانت المنى وانت الرجاءُ

نور عينيك صبوتي وثنايا ك رضايي وفي لماك الشفاء

فقد كانت حبيبة الشاعر المنبع الاول للقصيدة، وتمكن من ينقل كتلة من الاحاسيس والمشاعر المحبة للمرأة مجموعة بدلا من عاطفة مفردة بسيطة[٣٤].

والشاعر رضا الخفاجي يقول[٣٥]:

في مقلتيك هوى تجدد تغري الفؤاد وان تردد

وعلى جبينك آية للساهرين تشع فرقد

وعبير ثغرك اقحوا ن في ربى الشفتين غرّد

حمر الخدود يهزني فاهيم بالخدين والقد

إن نفوس الشعراء مليئة بالعواطف، فقلوبهم اشقى القلوب؛ لانهم اشد حساسية، وعذوبة ورقة، وتمكنوا بفعل ما يملكون من موهبةان يسجلوا آلامهم وأفراحهم في لوحات شعرية مثلت ثروتهم الفنية وحي ان شعر الغزل من اكثر الفنون اتصالا بفطرة الانسان وطبيعته فقد سطروا في ذلك الكثير[٣٦].

وقد اغرم – صاحب الشهرستاني – بصاحبة الخال[٣٧]:

وخال فوق ذاك الخـ ـد مسك ام ترى عنبر

وفي عينك صور فسبحان من صور

وفي محرابك القد سي صلى الحب واستغفر

شربنا من لماك الراح ممزوجا بها الكوثر

أخمر ذاك ام شهد وثغر ذاك ام سكر

انار في ذرى خديـ ـك ام نور الهوى ينشر

عبر الشاعر عن شوقه لصاحبة الخال كان مع نفسه في حالة من الحيرة كيف يصفها فثغرها كالسكر وقد اسكرته صور الحبيبة ومفاتنها، فرسم صور معبرة، نبض الجرس الموسيقي لشعره بالتعبير واطلق العنان لخياله لينتقي ما يشاء من صور.

وشكى من الحب الشاعر – علي محمد الحائري -[٣٨]:

ألام التنائي عن الهائمين بقدك يا سلوة العاشقين

وفيم صدودك لا ترعوي لتمسح من دمعة الوامقين

ضننت بوصلك حتى الكرى فيا للصبابة هل من يعين

نهاري فرط الجوي مظلم وليلي اقرح فيه الجفون

سألت كناسك يا طبيتي فقالوا كناسك في الياسمين

تمنيت ريقك عند الظمأ ويا حبذا الريق للظامئين

اصطدم حب الشاعر بعقبات فتحول الى حب باك وحزين مثل حب غيره من عشاق العرب الذين طالموا بكوا من الفراق وانعيهم سهر الليل، فقد جاء شعر الحائري مشحونا بالالم والشكوى، وقد يظن من يقرأ الابيات الشعرية ان فيها الكثير من التذلل حيث (يقبح بالعاقل اللبيب ان يستجدي في هواه)[٣٩]ولكن مثل هذا التذلل لا ي عدو مثله فقد اضنى الشاعر الشوق وتمنى الوصال بمن يحب وما ذلك الا دليل الثبات على الحب وهو اعظم آيات السمو في هذا اللون الشعري.

اما الشاعر عبد الستار محمد جواد شكى من طعن حبيبته له[٤٠]:

ظبية انت ام مهاة الفيافي طعنتي في القلب منها الخوافي

ليست الاعذراء عذب لماها من نمير للصب بلسم شافي

قد حويت ما لم تكن عرفته للغواني من قبل تلك القوافي

لك ثغر بفتر عن اقحوان ورحيق من نرجس من سلاف

وورد في روض خديكِ تسعى بلال من نرجس مستاف

لك خصر مهفهف زان قـــدا ينثني مع الصبا بانعطاف

عبرت ابيات الشاعر عن رغباته واشواقه الفياضة للحبيبة التي انمزت بجمال القوام وحمرة الخدود، والشاعر لم يحظ ممن يهوى بغير الجحود والصد، وذلك تقليد سائد في القصيدة العربية.

شكلت ذكر اسماء المحبوبات ظاهرة بارزة في الشعر العربي القديم مما القى بظلاله على الشعر العربي في كربلاء، فلم يخل شعر الشعراء من ذكر اسماء المحبوبات، وان كانت اغلب الاسماء ما هي الا رموزاً للانثى المحبوبة[٤١].

يقول سلمان آل طعمة[٤٢]:

اني احنّ اليك يا هنـــــــد كيف السبيل وشفني الوجد

انت الصبا والطيب والشهد وهواك عندي ما لـــه حد

اشكو الجوى ويشدني امل للقاك حتى ملني الصـــــد

ساظل ملتاعا ومنطـــــويا يا هند، كم ذا يقتل البعـــد

شبه الشاعر محبوبته بالطيب والشهد وكثيرا ما يصف الشعراء محبوباتهم تلك الاوصاف، وذكر اسم هند في بداية ابياته وخاتمتها ليثبت وجود ذلك الاسم في شعره.

وفي موطن آخر ذكر الشاعر – حنان –

أحب حنانا – وهي أنســي ومنتـــــي بها ينجلي همي وتصفو مودّتي

لئن سامني خسف ولج بي الجـــــوى تروح وتغدو تنتمي في مسرّتي

كأني بها شمس الضحى حين اشرقت بعيني مهاة ان اطلت بربوتـــي

استعمل الشاعر لفظة الحب ووظفها لاستعاطف الحبيبة، لان بها وحدها تنجلي هموم الشاعر واحزانه وما استعمال اسم (حنان) الا رغبة من الشاعر باخفاء اسم الحبيبة، وعادة الشعراء اخفاء اسماء محبوباتهم على السنتهم(٤٣).

وذكر باسم الحمداني اسم محبوبته

يقول(٤٤):

اريقي على قلبي النابض

دموع الصبابة يا (عائدة)

ولا تتركيها بحق السماء

تبل مناديك الباردة

ولا تحسبي ان هذ النداء

يعيد خطى الدمعة الشاردة

فاني ضللت طريق النجوم

وايقنت ان الرؤى خالدة

لعل الوزن والقافية الشعرية هما ما دعت الشاعر لاختيار الاسم.

ويمضي الشعراء وهم يصفون محبوباتهم بتلك الاوصاف التي ذكرها من سبقهم من الشعراء، ويقفون أمام الشعر العربي الضخم موقف الضامي، ولا خير في تكرار الاوصاف الحسية للمرأة في مختلف العصور فالمرأة هي المرأة بمختلف العصور وجمالها واحد وسمات حسنها واحدة.

واذا كانت الصفات واحدة فيكون التفاضل بين الشعراء بالاجادة وعدمها.

ويمكننا القول بان الشعراء تباينوا في الاجادة، فمنهم من أحسن القول ومنهم من لم يحسن، والشاعر في غرض الغزل لا يكون متكلفا اذا ما احب عندها سنقف امام صدق فني وصدق عاطفي.

وانماز بعض الشعراء بالاجادة في رسم صورة المرأة وحسن تحليله، واسلوبه في اختيار الالفاظ المعبّرة.

كما انماز الكثير من شعراء كربلاء برسم صورة رومانسية للمرأة فهم لا يتحدثون عن المرأة من لهم ودم؛ وانما هي رغبات مكبوته تتخذ لها صور ملائكية سماوية وهي بذلك تنسجم وواقع المجتمع المعاش.

يقول عبد الصاحب مجيد(٤٥)

ابثّك نجواي أنت المنى وأنت النعيم لروحي انـــــــا

وانت الهناء ورمز الوفاءُ وروض زها عبقري الســـنا

وما انتِ الا كفجر زها على الكون اقبل كي يفـــــتنا

يا نفحة الحب يا للعذاب أيجمع هذا الهوى شمـــــلنا

وافديك بالروح يا منيتي فكم صرت منك أقاسي الضنى

وصف الشاعر علاقته بحبيبته بانها علاقة قائمة على ارتباط روحين، فقد تعلقت روحه بها وذلك يتفق مع تعريف ابن جزم الحب بانه (استحسان روحاني وامتزاج نفساني)[٤٦].

وقد عاش الشاعر مترقبا لحظة اللقاء بالمحبوب وهي جلّ ما يبقي ويريد.

وقد اضنى الحب الشاعر عدنان غازي الغزالي:

ختمَ الحب ذاكري

فما عاد في الصددِ

سر لافضي اليك

وحين تمرين

تصهل بي رغبة للحديث

هذا الدوار اليف

يباغتني مذ رآك

فيا واحة الطيب

يا سيدة القلب

ماذا تقول الزهور بحضرتك الآن

وهذه المصابيح تشحب الوانها

تجمعت الارض في بقعةٍ

والنساء بواحدة[٤٧]

يعدّ الغزل من الصق الفنون الادبية بحياة الرجل واشهرها واكثرها رواجا، ذلك ان المرأة ملهمة الرجل وتمام عينه وهي مبعث سروره ورضاه[٤٨].

وقد تفنن الرجل لنيل رضا المرأة باساليب شتى واعمل براعته وخياله وعبقرينه حظورا يرسم اجمل اللوحات وتارة يعزف اجمل الالحان وتارة ينشد اجمل القول واطيب الحديث.

وقد قيل قديماً ان (افضل ما يأتيه الانسان في حبه التعفف، وترك ركوب المعصية والفاحشة)[٤٩].

ولما كان الشاعر شاعراً كربلائيا تربى على القيم المعايير الاجتماعية التي تلزمه بالتعفف، فبدا واضحاً على الشاعر في غزله النأي عن رسم الاوصاف الحسية للمحبوبة.

وصاحب الشاهر هو الآخر اضناه الحب

وفي جنة مستحيلة

تواصلت.. كان الفرات معي يتقدم ينضج كل[٥٠]

السنابل بين اضلاعه ثم يغفو

فما ساورتني طيور

ولا آلفت ضفتاي سوى الماء والرمل

والاغنيات القتيلة

تدور الشوارع فيّ... تدورين انت الحبيبة

يا حلوتي مثلما تحمليت اصطخاب السموات

في مقلتيك احمليني... احمليني!!

يعلّمني قمر يركض الان فوق

العراق.. وتحت الجداول

كيف احبك مستنكرا قسوتي، ساعدي، الحزن

فما يذيبك فيّ انحسرت انا

ترى هل تحبين من يرفض الموت الا امام الجلال وبين يديك

تُرى هل تحبين... (هزي اليك بجذع القصيدة يساقط الالم الشاعري عليك).

بسهم المكان، باداء وظيفي مع العناصر الآخرى المكونة للنص الشعري، فهو نسق مؤثر في القصيدة الحديثة، وقد يغني النص ويكسبه دلالات متنوعة ومؤثرة، فالعراق وهو بلد الشاعر اسهم في اخفاء الخصوصية التي يبغيها الشاعر في نصه كي يكسبه لوناً من الذاتية الخاصة، وعبّر عن مكنوناته ما يجيش في صدره من لوعة وحب وقد مكنت هذه الاجواء الشاعر ان يفعل دور الذات ويقيم علاقاته العاطفية والنفسية مع المحبوبة، وتمتع الشاعر بقدر كبير من الحرية في التعبير عن تجربته الشخصية وكان له ان يضمن معنى الآية الكريمة {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا١[٥١]

فقد استعان الشاعر بالنص القرآني، فمدينة كربلاء تحمل من القداسة اكثر وتتسم باجواء اسلامية اثرت على الشاعر وزادت من تمسكه بكتاب الله؛ فانعكس ذلك في شعر الشاعر وعلي الفتال هوالآخر استمد ذات المعنى للآية الكريمة في وصف محبوبته:

ستبقى في نظري[٥٢]

عذراء

كمريم مذ هزت جذع النخلة

بالحب

فغنى القلب لها لحب الحب

عذراء ستبقى آنستي

وسابقى ما بقيت دنيا الحب

اناغي فجراً

طيراً ينشد لحن الحب

الحاضر والآتي والأزلي

ان نظرة الشاعر المعاصرة تختلف عن النظرة التقليدية للقرآن الكريم ونصوصه، فقراءة الشاعر قراءة تفهم وتدبّر[٥٣]، وله ان يقتبس من آيات الذكر الحكيم ومن معاني الآيات لتزيين عمله الادبي لجمال الصياغة القرآنية، واستثمار قداسة القرآن الكريم وقد اقتبس من قصة السيدة مريم (ع) حيث العفة للسيدة الجليلة ع فقد صور الحبيبة من وجهة نظرته الخاصية فهي عذراء مصون، وتوقه اليها لا نهاية له وهي انثى استثنائية تجمع بين العذرية والجاذبية التي لفتت نظر الشاعر ان يتغزل بها.

وعينا المحبوبة قلق الشاعر – كاظم ناصر السعدي –

عيناكِ قلقي[٥٤]

عيناك وجود مؤتلف

هل تبحر اسئلتي الضمآى

كلمات البحر المرسومة بضمير اقلق الكوني

فدعيني يا احلى امرأة

بفرات الحب اناجيك

وبشوق الروح اناديك

قلق مرايا عينيك الحالمتين

تستهوي بمداها روحي ولعل توحّد قلبينا

يلهمنا العشق الصوفي

عبّر الشاعر عن مدى حبه للمرأة التي تضمنت (بوجهة نظره) كل الصفات الانثوية، وقد ربط الحب بالقداسة والتصوف وذلك ضروري؛ لان ضبط النفس لكبح جماح الرغبات بين قوة الحب وحب المرأة فطري والمرأة بشخصها مدفوعة الى حب ذلك الامان الذي يمتلكه الرجل ويؤخره لها.

وهي تتوق للظفر بالرجل الذي يغلبها بقوته ويستحق منها ان تأوي اليه، وتلحق وجودها بوجوده.

وبهذا تكون المرأة قد مثّلت الجزء الاكبر من اهتمام شعراء كربلاء حيث كانت المحبوبة التي رسموا لها ابهى صوره وصوروها باجمل الصور وادقها وناى البحث عن ذكر الابيات التي تصف المرأة بصورة حسية[٥٥]، واكتفى بإيراد شواهد شعرية لعموم الشعراء حيث المرأة ذات القد الجميل، واشراقة الوجه، وضياؤه، وكان حب الشاعر لها حب روحياً وسامياً.

الخاتمة

مثّل شعراء كربلاء النخبة المثقفة في مدينتهم وان ما نظموه من شعر عبر عن أفكارهم وتطلعاتهم وكوقفهم من المرأة، وقد كان غزلهم أمتداداً للغزل العربي منذ عصر ما قبل الإسلام، ولعل طبيعة المدينة المحافظة وما فرضته على نسائها من حجاب صارم دفعهم لذلك الغزل، وأختار طائفة أخرى من الشعراء ان يتغزلوا بالمرأة ويبتعدوا عن صفاتها الجسدية حيث مثلت لهم روحاً وكياناً ونبعاً من الحنان والدفء.

وأنمازت لغتهم بالسهولة والوضوح والابتعاد عن الغموض والتعقيد.

قائمة المصادر و المراجع

- القران الكريم

- ادباؤنا و الحب ، فتحي الابياري ، سلسلة ثقافية شعرية ، دار المعارف.
- الاصول الفنية في الشعر الجاهلي ، سعد اسماعيل شلبي ، دار غريب للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٧
- اغنيات في شهرزاد ، علي محمد الحائري ، منشورات دار الثقافة
- ايها الوطن الشاعري ، صاحب الشاهر ، وزارة الثقافة و الاعلام ، دار الرشيد للنشر بغداد ، ١٩٨٠ .
- تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري نجيب محمد الهيني ، مطبعة دار الكتب المغربية
- دراسات في الادب الجاهلي ، عبد العزيز نبوي ، منشورات الصدر لخدمات الطباعة ، مطبعة حسان ، القاهرة . ١٩٨٨ .
- ديوان الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح و تعليق ، احمد حسين المطبعة النموذجية
- ديوان امرؤ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨.
- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق علي الجندي ، مطبعة الانجلو مصرية ١٩٥٨ ،
- الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه ، يحيى الجبوري ، دار التربية بغداد ، ١٩٧٢ .
- الشعر و الشعراء ، لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق و شرح احمد شاكر دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٢
- الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي ساعدت جامعة بغداد على نشره ١٩٧٠ .
- العمدة في محاسن الشعر و آدابة ، ابو علي بن رشيق القيرواني الازدي (٤٥٦ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢.
- غزل النساء ، عيسى سابا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٣
- القلق ، سيجموند ديفرويد ، ترجمة محمد عثمان
- المرأة في الشعر الجاهلي ، احمد الحوفي ، دار الفكر العربي ، مطبعة المدني القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٣.
- مرافى الضلال ، باسم الحمداني / مطبعة الغزالي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٨٧
- المفضليات ، تحقيق و شرح ، احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، دار المعارف مصر .
- النقد الادبي الحديث محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣
- الوصف في الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، عبد العظيم علي فنادي.

الهوامش

(١) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي، د. احمد الحوفي دار الفكر العربي، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م، ص٦٥٤.

(٢) ينظر: دراسات في الادب الجاهلي، د. عبد العزيز نبوي، منشورات الصدر لخدمات الطباعة، مطبعة حسان، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨، ص٢٣.

(٣) ينظر: الاصول الفنية في الشعر الجاهلي، د. سعد اسماعيل شلبي، دار غريب للطباعة، بيروت، ١٩٧٧م، ص٣١٨.

(٤) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (٤٥٦هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٧٢م، ١/ ٢٢٦.

(٥) ينظر: الشعر والشعراء، لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م، ١/ ٧٤.

(٦) ينظر: العمدة، ١/ ٢٢٦.

(٧) ينظر: البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي، شاكر هادي التميمي، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥م، ص٨.

(٨) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق د. علي الجنديد، مطبعة الانجلو المصرية، ١٩٥٨م، ص٦٧.

(٩) ديوان الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح وتعليق د. م احمد حسين، المطبعة النموذجية، ١٢٦.

(١٠) ينظر: البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل، ٧١.

(١١) ينظر: الوجودية في الجاهلية، مجلة المعرفة السورية، السنة الثانية ع العدد الرابع، ١٩٦٣م، ص١٥٧.

[١٢] ينظر: دراسات في الادب العربي، ٢٣٦.
[١٣] ديوان امرؤ القيس. تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨م، ص١٨.
[١٤] ديوانه، ١٣٠.
[١٥] ينظر: النقد الادبي الحديث، د. محمد غنمي هلال، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص٣٩٤.
[١٦] ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، ١٩٧٢م، ١٤٨.
[١٧] يرى بعض علماء النفس ان ذلك الالم ترجع بداياته الاولى بتجربة انفصال الطفل عن الام: ينظر: القلق، سيجموند فرويد، ترجمة محمد عثمان، ص٣١.
[١٨] ينظر: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري نجيب محمد الهيني، مطبعة دار الكتب المغربية، القاهرة، ١٩٥٠م، ص١٠٠.
[١٩] ينظر: البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل، ١٣.
[٢٠] المفضليات، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ٩٢.
[٢١] ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق، عبد الستار احمد فراج، دار مصر للطباعة، ١٣٠.
[٢٢] ديوانه، ٣٧.
[٢٣] ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الاسد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ٤٣.
[٢٤] ديوانه، ٦٧.
[٢٥] ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد امين، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م، ٩١.
[٢٦] ديوان امرؤ القيس، ٤٦٦.
[٢٧] ديوانه: ١١٥.
[٢٨] المفضل الضبي، الفضليات، ٢٣١.
[٢٩] ينظر: الحب عند العرب دراسة في الشعر العربي القديم، د. فيصل بن عمار العامري، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، ٤٦٥، واتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، يوسف حسين بكار، ط٢، دال الاندلس، لبنان، ١١٤.

[٣٠] في حكمة الصمت، علي الفتال، ط١، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٦م، ص٥٩.
[٣١] ينظر: الطبيعة في شعر ابن خفاجة، ١٤٧، والشمس في الشعر الجاهلي، كمال فواز، رسالة ماجستير، جامعة نابلس، ٢٠٠٤م، ٨٩.
[٣٢] مخطوط في خزازنة الشاعر سلمان آل طعمة.
[٣٣] بين الظلال، ٣٥.
[٣٤] ينظر: رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، عبد الكريم راضي جعفر، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٨م، ص٩.
[٣٥] مخطوط في خزانة الشاعر.
[٣٦] ينظر: ادباؤنا والحب، فتحي الابياري، سلسلة ثقافية شعرية، دار المعارف، ٣٨.
[٣٧] مخطوط في خزانة الشاعر سلمان هادي آل طعمة.
[٣٨] اغنيات في شهر زاد، علي محمد الحائري، منشورات دار الثقافة؛ بغداد، ص٦٠.
[٣٩] الموشي او الرف والظرفاء، ابو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء (ت٣٢٥هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص٧٣.
[٤٠] مخطوط في خزانة الشاعر سلمان هادي آل طعمة.
[٤١] في لقاء الباحثة مع الشاعر اكد ان تلك الاسماء ما هي الا رموز ولا تمت بني للواقع الذي عاشه الشاعر وانما هي رغبة من ان يجاري من سبقه من الشعراء العرب.
[٤٢] بين الظلال:
[٤٣] ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآداب وتقده.
[٤٤] مرافئ الظلال، باسم الحمداني، مطبعة اهل البيت، كربلاء، ص١١٩.
[٤٥] مخطوط في خزانة الشاعر سلمان هادي آل طعمة.
[٤٦] رسائل ابن حزم، ابن حزم (ت٤٥٦هـ) تحقيق، احسان عباس، ط١، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ١/ ٩٦.
[٤٧] العودة الى مرافئ الحلم، عدنان غازي الغزالي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٧م، ص٣٥.

[٤٨] ينظر: الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية،د. محمد سامي الدهان، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١/ ٥.
[٤٩] طوق الحمامة في الالفة والالاف، ابن حزم الاندلسي، ضبط نصه وحرر هوامشه د. الطاهر احمد مكي، ط١، دار المعارف مصر، ١٩٧٥، ص١٨٤.
[٥٠] ايها الوطن الشاعري، صاحب الشاهر، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م، ص٢٤-٢٥.
[٥١] مريم/ ٢٥.
[٥٢] في محكمة الصمت، ١٦١.
[٥٣] ينظر: الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، ٣٢.
[٥٤] شعر كاظم ناصر السعدي، دار الكتب والوثائق، بغداد، ٢٠٠٠م، ص٢٤.
[٥٥] ينظر: بين الظلال، ٩٠-٩١، وعيناك، علي الفتال، وغيرها.